الجانب الاجتماعي في ثورة الزنج

م .م. إفهام غالب عبد اللطيف

كلية التربية للبنات/ جامعة البصرة

الملخص

يتناول البحث الجانب الاجتماعي لثورة الزنج التي حدثت عام (٢٥٥-٢٧٠هـ) (٨٦٩-٨٨٣ م) تعد هذه الثورة من الثورات البارزة التي حدثت في العصر العباسي والتي تمركزت حول مدينة البصرة وامتدت لاكثر من اربعة عشر عاما قبل ان تنجح الدولة العباسية في هزيمتها ، بدات الحركة من قبل زنوج شرق افريقيا الذين جئ بهم الى المنطقة وامتدت الثورة لتشمل العديد من العبيد والاحرار في مناطق عدة ، فقد ثار الزنج على المالكين واسسوا حكومة لهم كان مقرها جنوب البصرة وهددت الدولة العباسية فجندت كل امكانياتها لتسحقها، يركز البحث على الاسباب الحقيقية لهذه الثورة التي كانت اطول الثورات واخطرها.

The Social Aspect Of The Zeng Revolution

Assist .Lect. Efham Ghlleb Abd –Alteef

College of Education for Women / University of Basrah

Abstract

This resrarch deal the social aspect of the zeng revolution this revolution that (255-270)(883-869) this revolution that took place in Basra in the Abbasid state wher south relied on slaves in the hard work the movement started by the negroes of eastern Africa who were brought to the region and the revolution extended to include many slaves and free people in several regions Zeng revolt ed against the owners and established

المقدمة

تعتبر البصرة من أهم مدن جنوب العراق والجنوب مشحون بالرقيق والعمال الذين يعملون في مجاري المياه ومصابها ويقومون بكسح السباخ والأملاح وتنقية الأرض وتطهيرها كي تصبح صالحة للزراعة. وكانوا يقومون بهذا العمل تحت اشراف وكلاء غلاظ قساة عديمي الرحمة ولحساب ملاك الأرض من اشراف العرب ودهاقنة الفرس، وهؤلاء العبيد جلبوا من أفريقيا السوداء زنوج وأحباش ونوبيون وقرماطيون إضافة إلى الفراتيين (فقراء العراق).

قام علي بن محمد بدراسة أحوال هؤلاء الفقراء والعبيد لمحاربة الطبقة الارستقراطية فكان أول زنجي ينظم إليه هو ريحان ابن صالح الذي أصبح من قادة الحرب والثورة اخذ علي بن محمد يحرض الناس على الثورة ويصف ابن خلدون إقبال الزنج على الثورة وزحفهم للقاء قائدهم: لقد تسآيل الزنج واتبعوه.

كان هدف صاحب الزنج تحرير الرقيق من العبودية وتحويلهم إلى سادة لأنفسهم وإعطائهم حق امتلاك الضياع والأموال ومناهم بامتلاك سادتهم أيضا ورفض قائد الزنج عرض من الإشراف والوكلاء بان يرد عليهم عبيدهم لقاء خمسة دنانير لكل رأس ولكنه رفض هذا العرض.

اننا نجد من خلال المعارك التي نشبت بين الخليفة العباسي وبين الثوار من الزنوج ما يشبه الحرب العنصرية، فان الثوار زنوج سود والخليفة يرسل اليهم جيشا يقوده قائد تركي ابيض ليس عربيا يحارب عربا سود. ان الاخلاق التي كانت سائدة في ذلك الزمن هي اخلاق السادة الذين كانوا يعيشون عيشة مترفة تتضمن المسكن والمزرعة والعبد والسلطة.

قائد هذه الثورة علي بن محمد، شاعر وعالم بالنحو والخط والنجوم في سامراء وكان من المقربين إلى الخليفة المنتصر بالله ولما قتل الاتراك المنتصر بالسم ومارسوا الاعتقال والسجن والنفي والاضطهاد لحاشيته، كان علي بن محمد احد هؤلاء المعتقلين. ثم حدث تمرد من فرقة

الجند الشاكرية ببغداد يؤازرهم عامة الناس، دخلوا بغداد فاقتحم المتمردون السجون واطلقوا سراح من فيها ومن ضمنهم علي بن محمد.

كان علي بن محمد شاعرا وقد صنف لنا الدكتور عبد الجبار ناجي جانبا من شعره من خلال مقالته التي بعنوان صاحب الزنج الثائر الشاعر في مجلة المورد. العددان الثالث والرابع لعام ١٩٧٢ م.

جانب يصور فيه نزعاته الشخصية وافتخاره بنفسه ومطامحه في نيل الزعامة والثورة:

وعزيمتي مثل الحـــسام وهمتي نفسي أصول فيها كنفس القـسور

واذا تنازعني اقـــول لها اسكـتي قتلـــي مريحك او صعود المنـــبر

ما قد قضى سيكون فاصطبري له ولك الامان من الـــذي لم يقدر

وله أيضاً

اما والذي اسرى إلى ركن بيته حراجـــيج بالركبـــان مقـورة حـــدباً

لادرعن الحـــرب حتى يقال لي قضيت دمام الحرب فاهتجر الحربا

وهنا يصف كيف خرج بمن بقي معه من الزنوج محارباً وقائلاً

سأغسل عني بالسيـــف جالياً على قضاء الله ماكان جاليـــاً

واذهل عن داري واجعل نهبها لعرضي من باقي المذلة خاليـاً

فـان تهدموا بالـــغدر فانـهم تراث كريم لايـــبالي العـواقـبا

اذا هم القـــى بين عينه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبـاً

ولم يستشر في رأيه غير نفسه ولم يرضِ الا قائم السيف صاحاً

وله ابيات تؤيد طموحه للوصـول إلى الخلافة:

ان الذي جـعل النـجوم زواهرا جعل الخلافة في الامام الظاهر

قاد العسـاكر من بنجر مسحراً بأتـــم اقـــبـال وايمـن طـائـــر

حتـى أتاخ عـن الابلة بعد ما تـــرك البصيرة كالهشـيم الدائر

وله ابيات يعبر فيها عن ثورته وعلى ماكان يجري داخل قصور العباسين من مفاسد أخلاقية ويصرح بعقيدته الشيعية :

لهف نفسي على قصور ببغدا دوما قد حوته من كـل عاص

وخمور هناك تشرب جـــهرا ورجال على المعاصي حراص

لست بابن الفواطم الغران لم اجل الخيل حول تلك العراص

وكذلك يقول:

متى ارى الدنيا بلا مجـــبر ولاحروري ولا ناصب

متى ارى السيف دليلاً على حب علي بن ابي طالب

وهذه أبيات فيها عتاب موجه لخلفاء بني العباس لتقربهم الأتراك وأبعادهم الشيعة اقاربهم وتنكيلهم بهم :

بني عمنا إنا وانتم انامـــل تضمـنها من راحتـيها عقـودها

بني عمنا لا توقدوا نـــار فتنة بطئ علـى مر الزمـــان خمودها

بني عمنا وليتم الترك امرنـــا ونحن قديما اصلها وعدوعديدها

فما بال عجم الترك تقسم فيئنا ونحن لديها في البلاد شهودها

فأقسم لا ذقت القراح وان أذق فبلغـة عيـــش او يباد عميدها

وهذه ابيات يودع فيها مدينته المختارة

عليك سلام الله ياخير منزل خرجنا وخلفناه غير ذمـــيم

فان تكن الايام احدثن فرقة فمن ذا الذي من ريبها بسيلم

البعد الاجتماعي في ثورة الزنج[١]

عرف الرق كمظهر من مظاهر الحياة البشرية منذ أقدم العصور وهو حالة قديمة لم تستطع الأديان التي تنادي بحرية البشر القضاء عليها ومن ضمنها الدين الإسلامي وظل الرق معترفاً به اجتماعياً في كافة المجتمعات الإنسانية ، ولاشك ان الحروب كانت السبب الرئيسي في ظهور الرق في العصور القديمة ، لقد حاول المسلمون وبالتدريج القضاء على الرق ولم ينجحوا حيث استمرت هذه الحالة حتى عصور متأخرة واخذ الرق يكسب طابعه الاجتماعي المعروف كلما اشتدت الحروب واتسع نطاقها .

لقد كانت هذه الطبقة من الطبقات الفعالة في المجتمع فظهر بين افرادها قواد وأمراء كبار ومفكرون وفنانون، ان الإسلام لم يضعِ حداً للرق لكن القران نصح بحسن معاملتهم ودعا المسلمين إلى تحريرهم[٢] .

والزنج طائفة من العبيد الأفارقة كلفوا بالاعمال الشاقة دون ان يتقاضوا أجرا سوى قليل من التمر والدقيق يقتاتون به ،اذن نستطيع القول ان هذه الثورة هي ثورة الفقراء الجياع ضد الأغنياء الميسورين[٣] .

ولمعرفة اي ثورة لابد من معرفة قائدها ، حيث اطلق عليه المؤرخون (صاحب الزنج) وهو علي بن محمد الذي ظهر في فرات البصرة عام ٢٥٥هـ فقاد الزنج في ثورة استمرت أربعة عشرة عاماً (٢٥٥هـ – ٢٧٠هـ) .

وهو شخصية محيرة فعلاً حيث يلاقي اي باحث صعوبات في معرفة نسبه الحقيقي بفعل تغيراته السريعة تبعاً للظروف التي كان يمر بها واتصف بأنه رجل طموح وموهوب.

تتفق المصادر على ان القائم بالحركة اسمه علي بن محمد غير انها تختلف في نسبه يذكر الطبري انه علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه من عبد القيس وامه قرة ابنة علي بن رجب بن حكيم من بني اسد بن خزيمة من ساكني قرية من قرى الري يقال لها ورزنين[٤] بها مولده ومنشؤه ، فذكر انه كان يقول حدثني محمد بن حكيم ويقصد جد امه من أهل الكوفة احد الخارجين على الخليفة الأموي هشام بن عبدالملك مع زيد بن علي بن الحسين فلما قتل زيد هرب فلحق بالري فلجأ إلى ورزنين ، فأقام بها وان ابا أبيه عبدالرحيم رجل من عبد القيس كان مولده بالطالقان وانه قدم العراق فأقام بها واشترى جارية سندية ولدها محمداً أباه فهو علي بن محمد هذا[٥].

ادعى علي بن محمد ان العناية الإلهية قد أرسلته لإنقاذ العبيد مما كانوا يعانون من بؤس كما ادعى أيضاً العلم بالغيب وادعى النبوة[٦] ولكنه لم يجهر بعقائد المذهب الشيعي على الرغم من ادعائه النسب العلوي وانما جهر بعقائد مذهب الخوارج وقد علل نادكة هذه الدعوة الغريبة في هذه العبارة فقال : لقد بلغ من معرفة هذا الزعيم الثائر بميول اصحابه انه تظاهر بالدعوة إلى مذهب الخوارج الذي يلائم ميولهم الديمقراطية اكثر من مذهب الشيعة ، وان كان هو قد افتخر بانه من نسل علي وفاطمة مما ينطوي عليه المذهب الشيعي من التوريث الذي يلائم عقول مواطنيه ، ومن ثم يتضح وضوحاً كافياً – والكلام لازال إلى نادكه – لما رفض قرمط المؤسس الحقيقي لمذهب القرامطة ، وهو المذهب الشيعي المتطرف الذي قدر له ان يملا العالم الاسلامي قاطبةً خوفاً وهلعاً ، ان يرتبط بزعيم العبيد على الرغم مما قد يفيد من اشتراكه معه في حركة متأثراً بعوامل مذهبه[٧] .

وقال ابن سعيد، انه كان عسيفاً اجيراً من عبد قيس[٨] وقال ابن ابي الحديد جمهور النسابين اتفقوا على انه من عبد قيس[٩] الا انه لم يذكر هؤلاء النسابين .

ويبدوا ان ارجاع نسبه إلى عبد قيس لانه ابتدأ دعوته في البحرين وهي التي كان اغلب اهلها من عبد قيس الذي لا يعرف لهم مكان يقيمون فيه غيرها عند ظهور الاسلام . والملاحظ انه لم يلاقي تأييداً من عبد قيس في البحرين ولافي البصرة [١٠] .

ادعى علي بن محمد انه علوي وساق روايتين في ذلك الأولى انه علي بن محمد بن الفضل بن بن حسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن ابي طالب ، ثم ادعى انه حفيد يحيى بن عمر ابن الحسين المقتول في الكوفة[١١] وزعم انه علي بن محمد احمد بن علي بن عيسى ثم غير نسبه فانتسب (الخبيث) إلى يحيى بن زيد بعد اخذه البصرة[١٢] وذكر بعض العلويين الذين كانوا في البصرة انه علي بن محمد احمد بن عيسى بن زيد[١٣] .

ان الزيدية تنسب إلى زيد بن علي الذي ادعى صاحب الزنج انتسابه إليه وهي فرقة من ابرز أفكارها موقفها المعتدل من الخليفتين ابي بكر وعمر واعتقادها بشرعية استعمال القوة بوجه الحاكم الظالم . ولذلك كانت القوة المحركة لكثير من الثورات العلوية التي قامت في العهود العباسية الأولية وأيدت أفكارها اعداد كبيرة من المحدثين والفقهاء في العراق .

وبعض المصادر تشير إلى ان أصله فارسي واسمه بهيوذ[١٤] الا انه على الأغلب ان صاحب الزنج كان عربي الأصل وعلوياً واسمه علي بن محمد العربي كما تشير بعض المصادر ولكن الشك قائماً في نسبه العلوي على الرغم من نص الطبري على ذلك .

ان هذا الاختلاف في نسبه ناشيء من عدم دقة مؤرخينا العرب كما هي عادتهم في الكثير من الاحداث التاريخية والروايات واتباع بعض المؤرخين اهؤاءهم ونقمتهم على العلويين ، فان البعض منهم كان ينتمي إلى مذهب معين وينقم على المذهب الاخر ، ويبدوا ان نسبه للعلويين لإضفاء المزيد من الشرعية على ثورته .

كان الشعر ابرز ماتميز به صاحب الزنج وروى له نشوان الحميري سته ابيات[١٥]وذكر ابن ابي الحديد انه كان يتعاطى النجم والسحر والاسطرلاب[١٦] وذكر الطبري ان صاحب الزنج كان قد نظر في النجوم وحسابها ووقف على انكساف القمر وانه دعى الله في تعجيل خراب البصرة .وقال : انما البصرة خبزة لك تأكلها من جانبها فاذا انكسر الرغيف خربت البصرة[١٧]وقال ان صاحب الزنج غداة اليوم الذي دخل فيه البصرة دعى على أهل البصرة وقال اجتهدت في الدعاء وسجدت وجعلت ادعوا في سجودي ، فرفعت إلى البصرة ، فتراءى بين السماء والأرض رجل واقف في الهواء ارفق صوته قائم قد خفض يده اليسرى ورفع يده اليمنى

يريد قلب البصرة باهلها ، فعلمت ان الملائكة تولت اخراجها دون اصحابي وان الملائكة لتنصرني وتؤيدني في حرب وتثبت من ضيق قلبه من اصحابي[١٨] .

يرى الطبري ان صاحب الزنج ادعى الغيبيات وذكر انه كان يقول : (اوتيت في تلك الايام – عندما كان ينتقل في البادية – ايات من آيات امامتي ظاهرة للناس) ومنها انه قال (اني لقيت سوراً من القرآن لاأحفظها فجرى بها على لساني على ساعة واحدة منها سبحان ، والكهف، وص) وقال ومن ذلك اني ألقيت نفسي على فراش فجعلت انكر في الموقع الذي اقصد له واجعل مقامي به ، اذ بنت بي البادية وضقت بسؤ طاعة اهلها فأظلتني سحابة فرفت ورغبت واتصل صوت الرعد منها بسمعي فخوطبت فيه فقيل : اقصد البصرة فقلت لأصحابي وهم يكفنوني اي امرت بصوت هذا الرعد بالمسير إلى البصرة[١٩] .

ويذكر انه في سنة مقامه في بغداد ظهرت له بها آيات وعرف مافي ضمائر أصحابه ومايغفله كل واحد منهم وانه سأل ربه ان يعلم حقيقة امره فرأى كتاباً يكتب له وهو ينظر إلى حقيقة ولايرى شخص كاتبه[٢٠] .

ولم يذكر المصادر انه اغدق أموالاً او امتيازات على اتباعه سوى وعوده لهم بتخليصهم من الاعمال المرهقة التي كانوا يقومون بها وهناك معلومات تفيد بمعاملته العنيفة لأهل المدن التي استقر عليها ، وقام بتحرير الأرقاء ولم يكن عددهم كبيراً في المدن ولاكانت أحوالهم المعاشية تشبه في سوئها احوال عمال الأرض وخصوصاً من يعمل في استصلاحها بكسح السباخ والاعمال الشاقة ولم ترد اشارة إلى نجاحه في جلب أهل المدن إلى جانبه او تأييدهم في الثورة على السلطة الحاكمة [٢١].

كانت البصرة أرضاً زراعية غالبية أهلها يعملون في الأرض من أهم مراكزها الحضارية البصرة والابلة في الجانب الغربي من دجلة البصرة والفرات وعبادان وعدد غير قليل من المراكز الحضارية الأخرى في الجانب الشرقي الذي أرضه سهلة تتصل بمرتفعات إيران وتتغلغل فيهم اعداد كبيرة من العرب من أهل البصرة منذ أزمنة قديمة وازداد عددها وانتشارها بعد الفتوح الإسلامية فابتعد أكثرهم عن حياة البداوة التي تتميز بالتنقل والعزلة ومايرافق ذلك من نظم

وأساليب في الحياة ومُثل في الأخلاق والمنطقة الزراعية من الجانب الغربي تكون شريطاً من الأرض يمتد على طول دجلة البصرة تمتد وراءه بواد متصلة بالصحراء تسكنها عشائر بكر وتميم وغيرها من القبائل .

وكان لاهل البصرة نظم مستقرة يرجع بعضها إلى ما قبل الاسلام ابقت الدولة الاسلامية كثيراً من هذه النظم دون ادخال تعديلات عليها ، ذكرت المصادر اسماء عدد كبير من الانهار في منطقة البصرة سميت بملاكها واغلبهم من العرب ذوي المكانة والمقربين من الوالي او الخليفة ولاشك ان هؤلاء الملاكين كانوا يستعملون انتاج هذه الارض ومستخدمين فيها عمالاً لايرتبطون بهم بصلة النسب لانهم من اسر متنفذة لايعمل افرادها في الارض ، واكثر هؤلاء الملاكين يقيمون في مدينة البصرة ويقومون باستغلالها عن طريق الوكلاء والعمال ، ولم تكن منطقة الجانب الغربي من دجلة البصرة تنتج كل ما تحتاجه المراكز الكبير فيها ، ومن المراكز الحضارية (المختارة) مدينه صاحب الزنج على نهر ابي الخصيب ، والموفقية التي شيدها الموفق في الجانب الشرقي المقابل لما بين البصرة المختارة ، ولذلك فان هذه المراكز الكبيرة تعتمد على ماتستورده من المناطق المجاورة ولا سيما من الاهواز في الشرق والبادية في الغرب. وان حركة صاحب الزنجادت إلى ان تنقطع السفن عن المجئ لاكثر من عشرة سنين[٢٢]وان السفن التي استعملت في القتال هي الشذا والسميريات وكانت تصنع في سيراف وجبايا[٢٢] .

تميزت البصرة ومنطقتها وما يجاورها من كور دجلة والاهواز بالهدوء السياسي منذ ان قضى الحجاج على حركات الخوارج في اطرافها ولا سيما الاهواز ولم تظهر في البصرة تيارات سياسية ثورية وكان الفكر متوجها إلى الزهد والاعتزال وكلها لا تولي الامور السياسية اهتماماً كبيراً ومن ابرز مظاهر هذا الهدوء ازدهار الصناعة والمنسوجات في الاهواز والزجاج في البصرة ، وتجارة البحر وما تطلب من اهتمام بالسفن وصناعتها وملاحتها وما تجلبه من ارباح وتوفير العمل في المراكز الرئيسية ، واستقرت في البصرة وماحولها نظم تدل على عدم وجود الانتفاضات والافكار الثورية منها وعلى رضى الناس عنها وقناعتهم بسلامتها ومن ابرز سمات هذه النظم هي قلة المدن الكبيرة حيث لم توجد غير البصرة ثم الابلة والفرات القريبتين منها وفي

الاهواز عدد من المدن في جهاتها الشرقية ، اما المواضيع الكثيرة الاخرى فيبدوا انها كانت بلدان وقرى كبيرة ومتفرقة فان المنطقة عموماً منطقة زراعية وهي سهلة مستوية قليلة التضاريس كثيرة الانهار وافرة بالمياه ، ولكن الملوحة الكثيرة فيها تجعل كثير من ارضها سباخاً تتطلب معالجته جهوداً ونفقات كثيرة[٢٣] .

شيد صاحب الزنج (المختارة) لتكون مقراً له على نهر ابي الخصيب وحصنها بالخنادق واجتمع اليه من الناس ما لاينتهي من الحضر والعبيد جاؤوا اليه رغبة ورهبة وصارت مدينة تضاهي سامراء وتزيد عليها .... وقواد البلاد واعمالها يجبون الخراج على عادة السلطان كما كانت البصرة في عزها وكان علي بن ابان المهلبي وهو اكبر امرائه وقواده قد تولى الخراج واعمالها وصارت كرامهر مز وتستر ودان له الناس وجنى الخراج[٢٤]

سور صاحب الزنج المختارة باسوار وخنادق وشيد فيها وللبارزين من اتباعه قصوراً، وانشأ جامعاً وسوقاً وساحات ودواوين وسجون ، تقع المختارة في الاطراف الجنوبية الغربية من المنطقة التي هيمن عليها وكانت ميدان حركاته وكان مما قام به الموفق هو قطع الميرة التي كانت ترد اليها وعندما تقدم الموفق عام ١٧٦هـ في حملته الاولى على صاحب الزنج كانت المختارة قائمة كمركز لصاحب الزنج[٢٥]الذي أمر ان يقدموا اليه بمدينته على نهر ابي الخصيب[٢٦]ولحق المهلبي ومن تبعه من اصحابه بنهر ابي الخصيب وكان بعض اتباعه قد تخلوا عنه في انسحابه ، ولما حرق الجسر تفرق جيش الموفق في نواحي المدينة من الجانبين ، فاحرقوا من دورهم وقصورهم واسواقهم شيئاً كثيراً ، واستنفذوا من النساء المأسورات ما لايحصى عدده[٢٧]

اعتمد صاحب الزنج على البلالية والسعدية، لقد انقسمت البصرة إلى كتلتين رئيستين، هما البلالية والسعدية التي كانت قائمة على اسس قبلية تعززها الفروق الجغرافية ، ان السعدية يدل اسمها على أنها قائمة على بني سعد بن زيد بن مناة وهم اكبر عشائر تميم في البصرة[٢٨] لم يتخذ اي من البلالية والسعدية موقفاً محدداً من الحركات الأولى لصاحب الزنج ما يدل على انهم لم تكن لهم علاقة بالأرض ومزارعيها وملاكها بل كانت حياتهم متركزة في المدينة ومواقعهم

تتأثر بالاحوال المحلية لاهلها فحسب فهي محصورة في منطقة محلية محددة وليس لها اي صلة باي حركات وتوجهات المدن الاخرى والترابط بينهم قائم على الاحوال اجتماعية ومعاشية لاصلة لها بالعقائد المذهبية او التيارات السياسية .

عندما قدم صاحب الزنج البصرة عام ٢٢٤هـ وافق ذلك فتنة اهل البصرة بالبلالية والسعدية ، فطمع بميل احد الفريقين اليه فلم يجيه من اهل البلد احد فغادر البصرة وذهب إلى بغداد[٢٩] وذكر الطبري ان رؤساء الفتنة البلالية والسعدية فتحوا السجون واطلقوا من كان فيها،وكان فتح السجون من مظاهر الشغب ولاعلاقة له بصاحب الزنج الذي استفاد من ذلك لاطلاق اصحابه المسجونين وشجعته الفتنة على ان يعود إلى البصرة حيث اقام في برنخل بعيداً عن البصرة[٣٠] .

لم يكن هناك دوراً بارزاً للبلالية في تأييد صاحب الزنج حيث انهم كانوا منشغلين نجلافاتهم التي ظلت قائمة مع السعدية في داخل البصرة ، وانه قبل دخول صاحب الزنج البصرة كان الحصار على البصرة وكثر الوباء واستمرت الحرب بين البلالية والسعدية ولم يكن بالبصرة من جند السلطان الا نيف وخمسون فارساً[٣١]

ويمكن تصنيف الثوار في حركة الزنج على النحو التالي

١. غلمان الشورجيين ، او الشورجية: والكلمة مشتقة من (شورة) وتعني الملح وهو لفظ فارسي يستعمل في عمان أيضاً ، والشورج نوع من الاملاح تغطي اراضي العراق الادنى السبخة، تلك الاراضي التي غمرتها المياه ثم انحسرت عنها بفعل تراجع البحر او التصريف ، ويطلق لفظ الشورجيين على جماعة من اصحاب العمل كانوا يجمعون الشورج لينتفعوا به مستخدمين اعداداً ضخمة من العبيد ، ويبدو ان عدد غلمان الشورجيين كان ضخماً بحيث كان عبر نهر دجيل خمسة عشر الف غلام من الشورجيين ومجموعة منهم عند نهر الامير من انهار البصرة بلغت ستمائة واشتهر من كبار الشورجيين رجل يدعى العطار .

٢. القرماطيون: وهم جنس من اجناس السودان الكثيرة وهم طائفة من الزنج يعملون بالشورج كذلك واشتهر منهم راشد القرماطي الذي كان له دور بارز في الثورة ، وكانوا يتكلمون اللغة العربية ، لطول فترة اقامتهم في البصرة واختلاطهم باهلها من العرب .

٣. الفراتية : وهم الزنج الذين سكنوا فرات البصرة وان صاحب الزنج أول ماظهر في فرات البصرة حيث يعمل عشرات الالاف من العبيد وانصاف الاحرار.

٤. النوبة: وهم العبيد النوبة وكانوا هم والفراتية من اخطر قوات صاحب الزنج وكانوا يتكلمون اللغة العربية .

٥. الزنوج الانقياء: الذين يجلهون العربية وكان صاحب الزنج يستخدم مترجمين للتفاهم معهم . ويبدو ان هؤلاء حديثي عهود بالرق ولم تمر عليهم مدة طويلة تتيح لهم ان يتعلموا العربية .

٦. غلمان الدباسين والتمارين: حيث ان التمور كانت من خصائص الحياة الاقتصادية في البصرة ، وكانت اشجار البصرة تعد بالملايين . وقد احصيت عشرات الاصناف من التمور ، ومن ثم اعتمد الملاكون على التمور اعتماداً كبيراً كمورد هائل من موارد ربحهم ، وشغلوا العبيد في اعمال التمر واستخراج الدبس .

لقد حاول صاحب الزنج ان يعلن ثورته في سامراء غير انه ادرك ان اهمية هذه المدينة لم تكن مصدراً صالحاً لاي ثورة على الخلافة بسبب الرقابة الشديدة وسطوة السلطة المركزية على المدينة وقدم علي بن محمد بعد رحلة طويلة إلى البصرة عام ٢٥٤هـ وكان عاملها محمد بن رجاء الحاضري[٣٢] وصادف قيام فتنة بين الاتراك أيضاً وفي هذه السنة كانت البصرة على اشد اوضاعها خراباً بسبب الفتنة وتطورها . وهكذا استفاد صاحب الزنج من هذه الظروف وحاول ان يبدأ دعوته في مسجد البصرة غير ان اخفق وطارده الجند ولاذ بالفرار إلى بغداد ، غير ان الوالي قبض على اتباعه ، وبذلك فقد مهد لحركته وظل في بغداد يترقب الفرص ليدعوا لنفسه ولم ينسى ان يستخدم (التقنية) في تصرفاته ويحيط نفسه بالغموض لكي يحمي نفسه، ثم انه ظل يترقب المدينة حتى عزل عنها عاملها محمد بن الحاضري عدوه اللدود، وقامت فتنة اخرى بين الاتراك. فعاد إلى البصرة عام ٢٥٥هـ ومعه اعوانه الستة المقربون والفلاحون والرقيق[٣٣]

وكان يهدف من مجيئه الاتصال بالزنج المشتغلين بكسح السباخ ويدرس احوالهم ويقوي علاقته بهم واخذ الزنج يتصلون به ويجتمعون حوله ، وان علي بن محمد لم يعتمد على الناس اثرياء او اصحاب جاه او ليس لهم صله في الواقع انذاك انما اعتمد على ضعفاء الناس وعلى القوم المستغلين من قبل السلطة ومن قبل الاقوياء من الناس ، وهذا ما أدى بالزنج خلال ثورتهم بخراب البصرة حيث يدل ذلك على استماتتهم من اجل الحصول على حقوقهم وتماديهم ، وليؤكدوا للجميع انهم مظلومون .

لابد من التركيز على الجوانب الاجتماعية في تلك الثورة ولكن لا نغفل الجوانب الاخرى.

من أهم أسباب ثورة الزنج

- الوضع الاجتماعي : بفعل نمط حياة الزنوج او العبيد الذين كانوا يعشون ظروف قاسية من خلال عملهم في تجفيف المستنقعات وازالة السباخ عن الأرض ثم نقل الملح إلى حيث يعرض ويباع ، لقاء اجر زهيد ، فأرادت هذه الفئة التخلص من هذا العمل الشاق وتحسين احوالهم الاجتماعية .
- الوضع الاقتصادي : تدهور الوضع الاقتصادي وظاهرة التفاوت بين الطبقات داخل المجتمع الإسلامي من طبقة ثرية إلى طبقة تجار فالطبقة العاملة ، واتسعت الهوة بمرور الزمن بين هؤلاء وبين الطبقات الاقطاعية وبلغ التناقض الاجتماعي مداه ، مما كان دافعاً للاستجابة للثورة .
- الوضع السياسي: تردي اوضاع الخلافة نتيجة تصاعد نفوذ الاتراك إلى جانب الصراع الطبقي بين المترفين والعبيد وجدله متنفساً في هذه الثورة .

وقد سيطر محمد بن علي خلال عشرة اعوام (٢٥٥هـ – ٢٦٥هـ) على رقعة واسعة تمتد بين الاهواز وواسط ، وهدد بغداد ، عند ذلك عهد الخليفة المعتمد إلى اخيه الموفق لمحاربته فاصطدم بجموع الزنج وقتل محمد بن علي واستسلم من بقي من اتباعه ومات العديد.

من خلال ذلك يمكن ان نستنتج ان منشأ هذه الثورة هو ديني اجتماعي بحت وهذا يبرر انتساب علي بن محمد إلى العلويين لاضفاء صفة الشرعية على ثورته وبالنتيجة سيكون لهذه الثورة صدى اكبر عند العامة من الناس بانتسابها للعلويين لاسيما اذا عرفنا ان هذه السنة التي واكبت هذة الثورة ظهور مذهب التشيع حيث شهد غيبة الامام المهدي عام ٢٦٠هـ اي بعد خمسة سنوات من اندلاع الثورة وخروج الصفاريين ودورهم الرئيسي في انتشار المذهب الشيعي.

يمكن القول هذه الثورة كان اساسها اجتماعي ولكنها اتخذت الدين ستاراً لها وقد دعت هذه الثورة إلى تحسين احوال العبيد ومعاملتهم كما امر الله ورسوله بالرفق والحسنى، والعمل على تحريرهم وباي وسيلة كانت وحسب الشريعة الاسلامية كما ان صاحب الزنج كان لديه علم بالتنجيم وما يتصل به من التنبؤ والسحر حتى انه كان يستطيع ان يعرف متى كسوف القمر وكان يخدع جماعته باخبارهم بمعرفته وقت الكسوف ، لانه يعرف حسب حسابات فلكية فيصدقونه على انه يعرف ما لايعرفون هم فيزداد انبهارهم به ومن ذلك انه لما راد دخول البصرة عام ٢٥٧هـ نظر في حساب النجوم ووقف على انكساف القمر وقال : اجتهدت في الدعاء على اهل البصرة وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها ، فخوطبت فقيل لي ان البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها ، فاذا انكسر نصف الرغيف خربت البصرة فأولت انكسار نصف الرغيف كسوف القمر المتوقع في هذه الايام [٣٤] وهذا يدل على ذكائه في جذب الناس إلى ثورته وهي ثورة العبيد في البصرة وماحولها ضد اسيادهم ، حيث كانت احد عوامل القلق الذي كان ينتاب بعض الطبقات الاجتماعية ومنها طبقة الزنوج ، وثورة الزنج ، حرب اجتماعية ذات طابع طبقي ضد الملاكين من اصحاب الاراضي ، وقد اشترك في جيش الزنج بالاضافة إلى الاصناف من الزنوج التي ذكرت سابقاً جماعات من غير السود كالاعراب واهل القرى والعمال واصحاب الحرف ، هذا ما يجعلها تتصف بالشمولية لعدم تخصصها في العبيد فقط على الرغم من انهم قادتها والمخططين لها .

وهكذا كانت ثورة الزنج ولم يكن اهدافها تحرير الزنج بل عدت اعداءهم اسرى حرب يحق عليهم العبودية ، ولعل ما يبرر القسوة التي وقعوا بها ، ان الثورة كانت بين طبقات المجتمع الفقيرة المتمثلة بالعبيد ومن تبعهم وبين الاغنياء والسلطة الحاكمة وبالنتيجة فهو يسعى إلى

اضعاف اعدائه ، ولم تقف ثورته على اساس من العدل الاجتماعي سوى الذي حققه لجماعته من العبيد الذين تبعوه اول الثورة .

ان ثورة الزنج اول حركة تمخض عنها الوضع الاجتماعي الجديد في القرن الثالث ، ويبدو انها كانت البذرة الاولى التي مهدت للأفكار الكامنة لدى مريديها فلم تلبث السنة القادمة حتى ظهرت ثورة القرامطة ، وحركتهم وثورة الزنج مهدت التربة لكي ينشر القرامطة دعوتهم على نطاق واسع ، لان الدعوتين وان اختلفتا في الاسلوب والبرنامج اتفقنا في ضرورة تغيير النظام القائم اي انها اسهمت في بث الوعي الذي تريده بقية الحركات واعطتهم قدرة على المواجهة مع السلطة ، وبالنهاية فان هذه الحركة اخفقت لسبب مهم هي انها كانت ثورة طبقية ، ولم تكن ثورة شعبية بحق ولانها لم تنطوِ على برنامج واسس فكرية ثابتة لانها اعتمدت وانطلقت من اسس دينية ولكنها انتقمت من الناس وخربت البلاد ، ودمرت ممتلكاتهم ولم تكتفِ بتحرير العبيد بل قامت باستلاب حرية الاخرين وجعلهم عبيداً اي غالت بطلب حقوقهم ، الا ان بعض المصادر برئة صاحب الزنج من الاعمال الفاسدة مثل ابن كثير حيث يقول (ان صاحب الزنج لم يكن يتعرض لاموال الناس ولا يؤذي احداً انما كان يريد اخذ اموال السلطان)[٣٥] وكذلك الطبري ذكر بان صاحب الزنج منع اصحابه من الغارة على القرى الآمنة[٣٦] .

ولكن هذا لم يمنع ان هذه الثورة كغيرها من الثورات من ايقاع الدمار والقتل والسلب والنهب في المدينة .

ولو انتقلنا إلى الجانب العسكري نلاحظ ان الزنج استفادوا من وضع البصرة الجغرافي وكثرة الانهار حينها وكثرة النخيل فيها مما جعل التحرك صعباً بها من قبل الجيش العباسي للقضاء على الزنج وثورتهم ، وكان تحرك الزنج بها سهلاً لمعرفتهم بجغرافية البصرة وعيشهم زمناً طويلاً فيها ، حيث استطاعوا بجيوشهم الانتصار على الجيش العباسي في كثير من الوقائع ، بسبب سهولة المنطقة لديهم ، وصعوبتها على الجيوش العباسية وهكذا بدأ الخليفة الموفق العباسي اعماله ضد الزنج بارسال جيش يقوده غلامه سعيد بن صالح الحاجب في رجب عام ٢٥٧هـ واستطاع هذا ان يكبد الزنج خسائر فادحة اول الامر حيث هزم جيش للزنج كان

يعسكر على نهر المرغاب وهو نهر متفرع من نهر المعقل ، غير انه اصيب بجراح خطيرة ارغمته على ان ينسحب إلى موضع يقال له هطمة بفرات البصرة، ليعيد تنظيم جيشه ، والحاجب استطاع التغلب على الزنج غير ان الزنج ما لبثوا ان فاجئوا جيش الخلافة في هجوم ليلي بارع فأحرقوا معسكره وقتلوا الكثيرين وعزل الحاجب وتسلم منصور بن جعفر الخياط مكانه ولاقي أيضاً من القتل في جيشه عدداً هائلاً وهكذا استطاع الزنج التغلب على اغلب القوات العباسية التي بعثت لها للقتال والقضاء عليهم [٣٧] .

ان الهدف الاساسي لهذه الثورة هو احتلال البصرة وفعلاً استطاع الزنج تخريب كل القرى المحيطة بالمدينة استعداداً لدخولها والسيطرة على طرقها الرئيسية المؤدية لها واستفاد الزنج من الحالة الامنية والسياسية المتدهورة في المدينة نتيجة الخلاف بين البلالية والسعدية، وحشد صاحب الزنج خيرة قواده لدخول البصرة فاسند القيادة العليا إلى علي بن ابان مع يحيى بن محمد وصمموا على مهاجمة المدينة في يوم الجمعة ١٧ شوال من عام ٢٥٧هـ ، ٨٧١م فدخل الجيش البصرة وجرت عمليات القتل والسلب والنهب فكان السيف يعمل في اهل البصرة واصواتهم مرتفعة بالشهادة وقتلوا كل من رأوا فيها من اعداهم واخذوا ماله ، وحدث خراب البصرة ذهب مثلاً يؤرخ فيه اهل البصرة لهذه الحادثة ، واستمر الزنج في توسعهم باحتلال البصرة حتى وصلوا إلى البطيحة واخذوا يتوسعوهم إلى جنوب واسط واستطاع سليمان بن جامع قائد الزنج ان يدخل واسط عام ٢٦٤ فهجر السكان مدينتهم ، وخرجوا حفاة الاقدام هائمين على وجوههم فزعين ، وكسب الزنج في عام ٢٦٥هـ نصراً بدخولهم النعمانية فاحرقوا سوقها واكثر منازلها وبلغوا إلى قريب بغداد ، وهكذا استدعى الخليفة المعتمد الموفق إلى مكة من قبل المهتدي ، لان الخليفة المعتمد ادرك خطورة ثورتهم وعدم قدرته على السيطرة على الثورة وحده ولكفاءة الموفق العسكرية ، فكانت بداية عام ٢٦٦هـ بداية انتصار العباسيين وهزيمة الزنج فاستعد الموفق لحملة واعد جيشاً قوامة عشرة الاف مقاتل مع سفن حربية وتحرك ابو العباس بن الموفق نحو جرجاريا ، بعد ان عبأ جيشه تعبئة دقيقة واستقر قرب واسط ، واستطاع ابو العباس ان يهزم سليمان بن جامع فأجبره على الانسحاب من واسط ، اما الزنج فقد اخذوا بالاستعداد لواقعة اخرى وهزموا مرة اخرى قرب واسط ، ويبدو ان سليمان شعر بقوة الجيش العباسي فقد امتنع عن

الحرب لمدة شهر كامل واعتمد طريقة الهجوم السريع والانسحاب وكان يقوم بعملية حرق السفن الحربية العباسية ، ويزيلون القناطر وينسحبون ، ورغم قوة الجيش العباسي بقيادة ابي العباس ، ولكن لم يستطيع الانتصار على الزنج حتى حضر الموفق الموفق العباسي بنفسه في الحادي عشر من صفر عام ٢٦٧هـ بقيادة الجيوش وكان هدفه احتلال المراكز المهمة لتجمع الزنج قرب واسط ، ودخل الجيش فعلاً هذه المواقع المهمة في الثامن من ربيع الاخر من عام ٢٦٧هـ ، وتحرك صاحب الزنج نحو طهيثا ودخلها في السابع والعشرون من ربيع الاخر وقتل الجبائي، وكان هذا من أعظم قواد صاحب الزنج واكثرهم طاعة له ثم دخل المنصورة بسهولة ثم توجه نحو الاهواز واستطاع دخولها واقتصرت سيطرت صاحب الزنج على المختارة وما جاورها ، وظل الموفق في هذه المنطقة يعد العدة للحرب حتى الرابع عشر من شعبان من عام ٢٦٧هـ وبنى هناك مدينة على ضفاف شط العرب اسماها الموفقية لكي يضرب حصاراً على المختارة عاصمة الزنج. في عام ٢٦٨هـ قاسى الزنج من الحصار والمجاعة مما ادى إلى شل قوتهم واضعاف صفوفهم ، في عام ٢٧٠هـ هاجم الموفق المختارة وخرب فيها الكثير وانسحب في نفس ليلة الهجوم ، وظلت مدينة المختارة تقاوم الهجوم والحصار حتى شعبان من عام ٢٦٩هـ حيث تمكن اصحابه من احراق بعض قصور صاحب الزنج ، وفي ذي القعدة من العام نفسه عزم الموفق على دخول المدينة واحتلالها من الجانب الشرقي من نهر ابي الخصيب وبدأ الهجوم في السابع من ذي القعدة من البر والنهر وكان تعداد الجيش خمسين الاف مقاتل، واستطاع الموفق احتلال المختارة وحملت نساء صاحب الزنج واولاده وبناته إلى الموفقية. وادخل رأس علي بن محمد بغداد في الثامن عشر من جمادي الاولى من عام ٢٧٠هـ [٣٨].

لقد اختار الزنج البصرة وجغرافيتها الصعبة حيث الانهار المتشابكة والاهوار وعدم قدرة الجيش العباسي والاتراك على ملاحقتهم لعدم قدرتهم على القتال في مثل هذه الظروف القاسية وكذلك قدرتهم على فتح الكثير من المناطق شملت القسم الادنى من العراق والاهوار حتى ان الثورة هددت بغداد واختيار مدينة المختارة عاصمة لها كان اختياراً ذكياً حيث ان وقوعها على نهر ابي الخصيب مكاناً حصيناً لتشابك الانهار واشجار النخيل ، وهذا يدل على التنظيم الكبير الذي قامت به جماعة الزنج وكان من الطبيعي ان تكون المختارة على هيئة قلعة حصينة

لتستطيع الصمود في وجه الغارات المتلاحقة التي يشنها على المختارة العباسيون ، بالإضافة إلى ان المختارة كانت محصنة تحصناً طبيعياً بنهري شط العرب وابي الخصيب من الجهتين الشمالية والشرقية ، وبذلك امتنعت فترة من الزمن على الجيش العباسي ووجود القصور العديدة داخل المدينة يدل على تنظيم الزنج وبشكل دقيق للغاية حيث نجد إلى جانب قصر صاحب الزنج قصوراً اخرى اهمها دار انكلاي ابن صاحب الزنج التي كانت إلى جوار قصر ابيه ودور الجبائي ، وابن سمعان ، وسلمان بن جامع وكلهم من قواد الزنج الكبار واشادوا القناطر والجسور على الانهار هذا الجانب العمراني والسياسي.

اهتم صاحب الزنج اهتماماً كبيراً بتوفير المؤن والاقوات لعاصمته ولجيشه الضخم ، ومن ثم شيد اسواقاً كثيرة في الجانب الغربي من المختارة ومنها (السوق المباركة) حيث شغلت قضية المؤن والتموين صاحب الزنج إلى اقصى الحدود منذ بداية ثورته ، لذلك استمال الاعراب إلى جانبه وسخرهم في جلب المؤن إلى معسكره ومنعها عن المعسكر العباسي ، وهذا قمة التنظيم والتدبير الذي قام به الزنج لانجاح ثورتهم ، فليس من الممكن ان تكون الثورة بهذه الاستمرارية من دون تنظيم لوجستي دقيق ان صح التعبير ، وعين صاحب الزنج احمد بن الجنيد للاشراف على نقل المؤن وكلفه ابن يحمل سمك البطيحة إلى معسكره .

اقام صاحب الزنج في عاصمة المختارة مؤسسات ادارية ومالية لتشرف على سير الحرب وتتولى تنظيم شؤون المدينة داخل دولته قصيرة العمر التي شكلها علي بن محمد وقد اعطى صاحب الزنج لنفسه لقباً جديداً هو لقب (امير المؤمنين) وعين له ولاة على الامصار التابعة لدولتهفنجد أحمد بن مهدي الجبائي وصل إلى مركز مرموق في دولة الزنج حيث ولاه علي بن محمد اكثر اعماله وضم اليه محمد بن ابراهيم الذي تولى الكتابة له فلما مات طمع محمد بن ابراهيم في وظيفته[٣٩] كذلك ضرب النقود التي اصدرها علي بن محمد في عاصمته وهذا مايشير إلى وجود دار ضرب لضرب النقود من ناحية وإلى اعلان استقلاله الفعلي من ناحية ثانية ان كل هذا التنظيم اسهم في ايجاد دولة محكمة التنظيم والتدبير ، كذلك ان الفوضى التي قام بها الزنج لم تنشأ من فوضى تجمعانهم بل نشأة من ترتيب صفوفهم اي هي فوضى من ترتيب فهذه الفوضى التي نشأة بسببهم كان يسبقها تنظيم وتبويب لكل دولتهم وذلك ليستمروا فأن كانوا غير

منظمين هذا سيسهم بالتالي في تراجع ثورتهم منذ بدايتها ، ولكن التنظيم سبب استمرار الثورة وانتصارها وترجع شخصيته صاحب الزنج السبب الاساسي في نجاح ثورته الذي امتازت بمعرفته باخلاقيات واهواء الاقوام التي كان يعيشون بينهم ولكننا نستطيع ان نقول ان صاحب الزنج لولا سعة ثقافته واطلاعه لما استمرت ثورته اربعة عشرة عاماً حقق فيها الكثير من الانتصارات ، كما ان معرفته بالمجتمع مكنته من القيادة وبالشكل الافضل له ، كذلك ان حنكته في المجال السياسي والاقتصادي وذكاءه المفرط مكنه أيضاً من الاستمرار ، كذلك ان الشعارات التي رفعها والتي تنم عن معرفة باراء الفرق الدينية المتعددة لكي يستميل اليه بقية المذاهب ولا تدل الشعارات التي رفعها على انه صاحب مذهب مغاير للامامية الاثني عشرية . اما فيما يخص شعره فقد اتهمه الطبري بان شعر هدفه التقرب للسلاطين بهدف الحصول على الاموال.

من آثار ثورة الزنج وعوامل إخفاقها:

خلفت ثورة الزنج تأثيرات سيئة في اقتصاديات العراق الادنى وانعكس ذلك على موارد البيت العباسي ، وشل الزراعة والتجارة في كل هذه المناطق ، كذلك تعطيل المؤسسات العامة للدولة، وتحرير العبيد الذي كان تأثيره سيئاً في المناطق المحتلة من قبلهم ، واكبر خسارة لاقتها الخلافة العباسية هي سقوط البصرة وسقوط ميناء الابلة المهم في الحركة التجارية للدولة العباسية ، وكذلك من آثار ثورتهم نشوء مدينتين زاهرتين ترعرعتا وسط ميدان القتال هما مدينة المختارة عاصمة الزنج ، والموفقية مركز قوات أبي أحمد الموفق وازدهرت المدينتان بشكل كبير.

كذلك من آثار هذه الثورة ظهور شخصيتين مهمتين هما : صاحب الزنج الذي كان شخصية طموحة استطاع بذكائه وتنظيمه وقدرته العملية استطاع ان يبرز شخصية مهمة استمرت اربعة عشر عاماً . اما الشخصية الثانية فهي شخصية الموفق العباسي الذي استطاع ان يهزم الزنج وصاحبهم علي بن محمد على الرغم من ذكائه المتقد وصعوبة المكان الذي تم فيه القتال بين الجانبين ان التأثيرات التي سببتها هذه الثورة مهمة للغاية وتمثل حلقة انتقال بين حالتين كانت عليهما البصرة ما قبل خرابها على يد علي بن محمد .

اما الاسباب اخفاق هذه الثورة

١. كانت ثورة الزنج حركة ضيقة لاتنطوي على برنامج دقيق ، ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار والواسع ، وكان بقاؤها وقوتها منطويين بزعيمها واندفاع اتباعه العبيد من ناحية ، وبضعف الخلافة وانشغالها من ناحية ثانية . وهذا ما يفسر عدم رواج الدعوة بين الاحرار من أهل البصرة.

٢. ان اعتناق صاحب الزنج مبادئ الخوارج الازارقة جلب عليه نقمة العلويين وبغضهم لان الخوارج كانوا الد اعداء الشييعة مما حدا هؤلاء إلى عدم التعاون مع علي بن محمد.

٣. كانت ثورة الزنج قد قامت ابان ضعف الخلافة العباسية ، وتفسخ الادارة والسياسة في العاصمة ، فاتاح هذا الضعف لصاحب الزنج ان ينشر دعوته في المناطق الجنوبية من العراق . حيث لاتوجد قوات كبيرة للدولة فلما تولى الامر ابو احمد الموفق وكان شخصاً قوياً حازماً استطاع بعد فراغه من اعدائه الاخرين ان يركن جهوده نحو حركة الزنج فيقضي عليها قضاءً مبرماً .

٤. كان الزنج قد لبوا دعوة علي بن محمد فراراً من وضعهم السيئوأملاً في تحسين احوالهم الاجتماعية المزرية ، فلما رأوا ان الحركة لم تسفر عن نتائج حاسمة وان الموفق منحهم الامان واغدق عليهم الاموال هجروا زعيمهم والتحقوا بجيش العباسيين بعد ان وقعوا بالجوع وتعرضوا لخطر الموت .

٥. كان لشخصية الموفق اثر كبير في القضاء على هذه الحركة ، فقد استطاع ان يعبيء الجيوش الضخمة والقوات الكبيرة ويحشد الاموال والذخائر في الموفقية فيتمكن من ان يشل ثورة الزنج ويقضي عليها .

٦. ان الحصار الاقتصادي الذي ضربه الموفق على الزنج كان عاملاً مهماً في القضاء عليهم لانهم في ايامهم الاخيرة اخذوا يقاسون قلة الغذاء حتى ان الاسير منهم على حد قول الطبري كان يسأل عن عهده بالخبز فيذكر انه لم يذقه من سنة ، ويغالي المؤخون فيقولون انهم أكلوا لحوم الناس بل لحوم الموتى . وهذا الضيق دفع الكثير منهم إلى ان يهجروا معسكرهم متجهين إلى الموفق حتى ان صاحب الزنج وجد نفسه في ايامه الاخيرة في شرذمة قليلة من اتباعه . وكان هذا عاملاً اساسياً من عوامل اخفاق الثورة .

٧. لم تكن ثورة الزنج خروجاً على الدولة والنظام القائم فحسب بل خروجاً على الدين كذلك في نظر المعاصرين لذلك تطوع الاف الناس لحرب الزنج من العراق وفارس والبحرين . وهذا هو الطابع الذي انطبعت به كل الحركات التي قامت آنذاك ، فنظر اليها الاتقياء والمتدينون نظرة سخط ومقت ووصموها بالزندقة والزيغ ومخافة الدين .

٨. كان جيش العباسيين يقوم على تنظيمات عسكرية دقيقة واسلحة متنوعة ، ويتمتع بتدريب جيد وتغذية حسنة في حين كان اسلوب الزنج اشبه بحرب العصابات لاتقدر الاّ على الهجوم الخاطف القائم على السرعة وبث الكمائن، لذلك كانت انجح غاراتهم هي الغارات الليلية ونادراً ما قام الزنج بهجوم منظم ووقفوا وجهاً لوجه امام الجيش العباسي .

٩. كان طول المدة التي استغرقتها الثورة عاملاً مهماً في عدم نجاحها لان الزنج فقدوا كثير من قوتهم كما لقوا مقاومة من اهالي جنوب العراق فضلاً عن مقاومة الدولة .

١٠. ان سعة المنطقة التي احتلها الزنج أدت إلى بعثرت قواتهم هنا وهناك وإلى تفريق حاميات ضئيلة العدد من كل مركز احتلوه ، وهذا عامل مهم في اخفاق الثورة فقد تعذر على صاحب الزنج تركيز قواته في الاماكن التي يتطلبها الموقف العسكري.

١١. ان الاضرار التي تعرض لها اهل المدن التي احتلها الزنج زادت من ضراوت مقاومتهم للثورة . وقد زاد من عداء الاهالي لان الزنج كانوا من عبيدهم فشق عليهم ان يغدوا سادة لهم[٤٠] .

وهكذا نرى ان هذه الثورة واهميتها من الناحية التاريخية وتأثيراتها الاجتماعية وكان لها صدى واسع في المجال الفكري على الرغم مما كان فيها من مساوئ وكان اهم شيء افرزته الثورة حالة العبودية التي كان فيها الزنج والمعاملة السيئة اللانسانية في العهود الاسلامية التي واكبت هذه الثورة .

لقد اوحى خراب البصرة الذي اصبح مضرب الامثال لعلي بن العباس بن جريح المشهور بان الرومي بقصيدة مهمة تسجل هذه الحادثة التاريخية .

اي نوم بعد ما انتهك الز نج جهاراً محارم الإسلام

اقدم الخائن اللعين عليها وعلى اللـــه ايما اقوام

ثم يصف دخول الزنج إلى البصرة فيقول :

يااهلها يا حـــسن حـــــال اذ رماهم عبيدهم باصطدام

دخلوها كانـــــهم قطع الليل اذ راح مدلهم الظـــلام

اي هـــول رأوا اي هـــــول حق منه يشيب رأس الغلام

اذ رموهم بنارهم من يمـــين وشمال وخلفـــهم وامام

كم أغصـوا من شارب بشراب كم اغصوا من طاعم بطعام

كم ضنين بنفسه رام منـــجى فتلــقوا جبينه بالحســام

كم اخ قـد رأى اخـاه صـريعاً ترب الخد بين صدى كرام

تــرب الخــد بين صدى كـرام ترب الخد بين صدى كرام

كم اب قد رأى عــزيز بـنيـه وهو يعلى صارم صمصام

كم مفدى في اهله اســلموه حين لم يحمه هنالك حامـي

كم رضيـع هناك قد فطمــوه بثبا السيف قبل حين الفطام

كـم فتـــاة بخاتـم الله بكـر فضحوها جهرا بغير اكتتام

كم فتاة مصونة قد سبـــوها بارزا وجهها بغير لـــثام

من رآهن في المساق سبايا داميات الوجـــه للأقدام

من رآهن المقاسم وسط الزنج يقمـــن بينهم بالسهام

من رآهــن يــتخـــذن إمـاء بعد ملك الإمـــاء والخدام

الهوامش

(١) كلمة الزنج مقتبسة عن زنك الفارسية ، اي الحبشة ومنا جاءت زنكبار التي حرفت إلى زنجبار التي تقع في الساحل الشرقي لافريقيا . وكان ملوكها في تلك الايام مسلمين . وقد لاحظنا ان كلمة (زنجد) في الفارسية معناها المدن ، كما ان كلمة (زنجار) العربية المأخوذة عن الفارسية (زنكار) تعني صدأ الحديد والنحاس ومن المحتمل بلاد الزنج تعني بلاد المعدن ، خاصة وان القارة الافريقية تدخر بالمعادن النادرة التي كان يستوردها التجار المسلمون إلى بلادهم ، وربما ان اللفظ (زنج) عربي الاصل ،.ابن منظور ، لسان العرب ، ٢٩٠/٢.

(٢) احمد علبي ، ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد،ص ١٢ ، عبدالعزيز الدوري ، دراسات في العصور العباسية المتأخرة .٧٦ – ٩٥.

(٣) د. ابراهيم ايوب ، التاريخ العباسي السياسي والحضاري ، ١١٤ .

(٤) من اعيان قرى الري كالمدينة ، الحموي ، معجم البلدان / ٥ / ٣٧١ .

(٥) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٧ / ٥٤٣ .الدهبي ، سير اعلام النبلاء، ٣٧٤/١٢

(٦) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ، ٧/ ٥٤٤ ، الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ٢/ ١٢٥.

(٧) حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، ٣/ ٤٠ .الغفار ،الكليني والكافي، ٢٤٢

(٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٣٤/١١ ، ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ٥٢/ ٢٠ .

(٩) ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ، ٨/ ١٢٦ .ابن حجر ، ٩/ ٣٨٢ ٠

(١٠) صالح احمد العلي ، علي بن محمد ، صاحب الزنج ودولته المهزومة ٤ .

(١١). الطبري، تاريخ الرسل، ١٣٧/٧.المسعودي ،التنبيه والاشراف،٣١٩

(١٢) الطبري، تاريخ الرسل ، ٦٠٧/٧ القمي ، الكنى والالقاب ،٤٠٢/٢

(١٣) المصدر نفسه ٦٠٧/٧ .الابطي ، تهديب المقال ،١٩٦/٥

(١٤). السيوطي ، تاريخ الخلفاء ٣٦٤،الزركلي، الاعلام ، ٢٥/٤السمعاني ،الانساب ١١٢/٢

(١٥) ابن ابي الحديد، نهج البلاغة ، ١٢٧/٤ .

(١٦) ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ، ١٢٨/٤ .

(١٧) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ٦٠٢/٧

(١٨) .المزي ، تهديب الكمال ، ١٤/ ٢٧٣

(١٩). الطبري ، تاريخ الرسل والملوك، ٥٤٤/٧ ، الذهبي ، سير الاعلام النبلاء ، ١٣٦/١٣ .

(٢٠) الخطيب ، تاريخ بغداد ، ٢/ ١٢٥

(٢١) العلي ، صاحب الزنج ،٥٥ ، ميزاد خان ، تاريخ ولاية البصرة ، ١٧.

(٢٢) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك،٦٠٠/٧ .

(٢٣) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٣٠/٨ .

(٢٤)العلي، صاحب الزنج،١٠٠ .

(٢٥) ابن ابي الحديد ، نهج البلاغة ،١٦٥/٨ .

(٢٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٧٧/٨ .

(٢٧) المصدر نفسه، ٧٧/٨ .

(٢٨) المصدر نفسه ، ٧٧/٨ .

(٢٩) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٨٢/٣ .

(٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل، ٥٤٤/٧ .

(٣١) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٥٤٦/٧ .

(٣٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٦٠٤/٧ .

(٣٣) احمد علبي، ثورة الزنج ، ٤٣ .

(٣٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٧/ ٦٠٢ .

(٣٥) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤/١١ .

(٣٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٧/٨ .

(٣٧) ابن كثير ، البداية والنهاية ،٢٥/١١ .

(٣٨) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٦/١١ .

(٣٩) العلبي ، ثورة الزنج

(٤٠) السامر ، ثورة الزنج ، ٧٨ .

المصادر والمراجع الحديثة

١. ابن خلدون : عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون) ، تحقيق : محمد الصباغ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٩٧١م .

٢. ابن عساكر : علي بن الحسن بن هبة الله ، (ت ٥٧١هـ) ، تحقيق : علي شيري ، ط١ ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ – ابن منظور : ابو الفضل جمال الدين ، (ت٧١١هـ) ، لسان العرب ، ط١ ، دار احياء التراث العربي ، نشر ادب الحوزة ٠

٣. ابن كثير : عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي ،(ت ٧٧٤/ ١٣٧٢م) البداية والنهاية ، تحقيق : علي شيري ، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٨٨م .

٤. الابطي : السيد علي محمد الموحد ، تهديب المقال في تنقيح كتاب الرجال ، ط١، مطبعة قم ،عام ١٤١٢هـ ٠

٥. الحموي ، شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله ،(ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) معجم البلدان، ط ١ ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ١٩٧٩م .

٦. الدهبي: محمد بن احمد بن عثمان ، (ت٧٤٨هـ) ،سير اعلام النبلاء ، مؤسسة الرسالة، بيروت. الزركلي : خيرالدين، (ت١٤١٠هـ) ، مطبعة دار العلم للملايين، ط٥ ،بيروت

٧. السمعاني : ابي سعد عبد الكريم ،(ت ٥٦٢ هـ) الانساب ، تقديم : عبدالله البارودي ،ط ١ مطبعة دار الجنان بيروت عام ١٤٠٨هـ ٠

٨. السيوطي : بلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر ، (ت ٩١١هـ / ١٥٠٥م) تاريخ الخلفاء ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١، دار صادر ، بيروت ١٩٩٦م .

٩. الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير،(ت٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق: نخبة من العلماء ، مطبعة بريل ليون ، ١٨٧٩م .

١٠. العسقلاني : شهاب الدين بن حجر ،(ت٨٥٢هـ) ، تهديب التهديب ، ط١ ، دار الفكر ، عام ١٤٠٤هـ ٠

١١. ألمزي : ابو الحجاج يوسف ، (ت٧٤٢ هـ) ، تهديب الكمال ، تحقيق : بشارعواد ، مطبعة مؤسسة الرسالة

١٢. ابن ابي الحديد، عزالدين عبدالحميد بن هبة الله (ت ٦٥٥هـ /١١٥٧م) تحقيق : محمد ابو الفضل إبراهيم ، شرح نهج البلاغة ، ط ١ ، مطبعة دار احياء الكتب العربية ، قم ، إيران، ١٩٦٥م .

١٣. المسعودي : ابي الحسن علي ، (ت٣٤٦هـ) ،التنبيه والاشراف ، دار الاندلس ، بيروت ١٣٨٦هـ

المراجع الحديثة

١. الدرويش ، جاسم ياسين ، اضواء على نسب صاحب الزنج ، بحث في مجلة الخليج العربي المجلد ٤٨العدد ١-٢عام ٢٠٢٠ م٠

٢. العلي ، صالح احمد ، صاحب الزنج ودولته المهزومة ، ط١ ، دار المدار الاسلامي ، بنغازي ٢٠٠٦م

٣. الغفاري : عبد الرسول عبد المحسن ، الكليني والكافي ، ط١ ، مؤسسة النشر الاسلامي ، عام ١٤١٦هـ

٤. ايوب ، ابراهيم ، التاريخ العباسي والحضاري ، ط١ ، الشركة العامة للمكتبات ، ١٩٨٩م ٠

٥. حبوش ، طاهر ، اوائل العرب عبر العصور والحقائق ، بغداد ، ١٩٩١م٠

٦. حسن ، ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام ، دار الفكر العربي ، ١٩٧٣م٠

٧. خان ، ميزاد ، تاريخ ولاية البصرة ، ترجمة : محمد وصفي ، بغداد ، ١٩٨٠ م ٠

٨. د٠السامر ، فيصل ، ثورة الزنج ، ط٢ ، دار احياء التراث العربي ، ١٩٧٠م٠

٩. علبي ، احمد ، ثورة الزنج وقائدها علي ين محمد ، مكتبة الحياة ، بيروت ٠

١٠. عمران ، رشا ، ثورة الزنج الاسباب ، الاحداث ، النتائج ، بحث في مجلة جامعة البعث ، مجلد ٣٩العدد ٦٢عام ٢٠١٧م ٠

١١. محمود ، حسن احمد ، العالم الاسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي،١٩٧٣م٠